القصة الرابعة

رغبات مكبوتة

فى أحدى القري في صعيد مصر على ضفاف النهر الخالد وبين الحقول والمحاصيل الزراعية التى تسر الناظرين نشأت سميرة ذات السحر المنثور المقترن بشمائل وخصال الفتيات القرويات رغم انها من الفتيات اللواتي تعلمن حتى الثانوية العامة على عكس الكثير من أقرانها حيث الثقافات الموروثة منذ قديم الزمان التى ترى ان التعليم سيجعل من الفتاة فريسة سهلة في افواه الذئاب البشرية وكان القرار من الحاج عبدالصمد انها لن تكمل دراستها الجامعية فقد ظهرت انوثتها الطاغية وتفجرت فى اركانها عناصر النمو والنضج وأخذت تسلب عقول المحيطين بها فقد كان غنجها ودلالها محط الأنظار لكل شباب القرية ويكاد لا يمر يوم دون ان يكون هناك خاطبا طالبا الزواج منها وكان الحاج عبدالصمد يرفض كل المتقدمين لها لحاجة لا يعلمها إلا هو.

سميرة كانت برغم تنشئتها بين الريف والزراعه والأجواء القبلية لديها طموح عالي وكان قرار منعها من اكمال الدراسة الجامعية كالصاعقة التى نزلت على الأرض فأحرقت الأخضر واليابس من أحلامها وطموحها ورغم ذلك لا تملك من زمام أمرها شيئا و رغم ذلك كانت حريصة على تثقيف نفسها وقراءة الكتب والمجلات للكثير من الكتاب والشعراء وكانت تطمح ان تتزوج يوما ما من انسان مثقف يجعلها تكمل دراستها ويخرجها من القرية التى تصدر

حكمها الجائر بحرمان الفتيات من اكمال تعليمهن بدعوى الخوف عليهم والحرص .

قاربت الساعه العاشرة مساء وكانت سميرة تمسك بأحد الكتب التى قام اخيها بشرائها لها من معرض الكتاب فقد كان يعرف جيدا شغفها بالقراءة غلبها النعاس ونامت وهى ممسكة بالكتاب وسرعان ما يراودها حلم جميل فقد شاهدت نفسها فى ليلة زفاف فى احد صالات الأفراح الشهيرة بالمنطقة وكان الأهل فرحين وفرق الرقص الشعبي والمزمار يشكل سيمفونية وانسجام رائع ولما لا فقد كان العريس سعيد ابن عمها الذى كثيرا ما كان يرافقها الى مدرستها ويدافع عنها فقد كان حبه لها لا تصفة الروايات وكانت تبادلة نفس المشاعر .

فجأه تستيقظ سميرة وعلى شفتاها ابتسامة العروس فى صباح اول يوم زفاف وشربت بعض الماء ووضعت الكتاب على الاريكة المجاورة وأطفت نور المصباح واكملت نومها .

مع نسمات الفجر وزقزقة العصافير وصياح الديوك وهى تعلن موعد حلول الفجر تستيقظ سميرة كعادتها يوميا فهي حريصة على التزام الطاعات وصلاة الفجر واختلاس تلك اللحظات من عقارب ساعات النهار المملوءة بالضجيج ولكثرة قرائتها فى كتاب الله أصبح لسانها دوماً يجرى بالحروف البليغة التى تفوق خريجات الجامعات فزادها على جمالها جمال وحسن وبهاء البلاغة وروعة الحديث وكان الرضي بقضاء الله ديمومة واسلوب حياة بالنسبة لها ودوما تقوم بمساعدة امها فى تحضير الأفطار والشاى لوالدها الحاج عبدالصمد وأشقائها حسين ومحمود قبل ذهابهم الى الغيط ومتابعة محاصيلهم الزراعية كل يوم.

قامت سميرة بقص الحلم الذى شاهدته فى ليلتها على امها التى ضحكت كثيرا وقالت لها يا سميرة انتى لسه بتفكرى فى سعيد ده يا بنتى خلاص استقر فى القاهرة ومضي زمن طويل لم يقم بزيارتنا رغم انه كان دوما حريصا على زيارتنا بين الفينة والأخرى لعل غيابة خير وقالت لها انتظري حتى نكمل حديثنا بعد خروج والدك وأخوتك الى العمل .

بعد تناول الفطار ذهب الحاج عبدالصمد واشقائها الى الأرض وبينما هم منهمكين فى العمل رن جرس الهاتف المحمول وكان المتصل هو سعيد ابن اخيه الشقيق المدرس فى جامعة القاهرة والمستقر هناك منذ خمس سنوات حيث تخرج من كلية دار العلوم بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف لتفوقة الدراسي وتبادلا التحيه والسلام والسؤال وابلغة الدكتور سعيد بحديث وطلب كان يخالج صدر الحاج عبدالصمد منذ سنوات ويتمني سماعه بعد ان تركت سميرة المدرسة بعد الحصول على شهادة الثانوية العامة وهو ان يطلب يدها منه للزواج بها فهو أبن عمها الشقيق ومن اللحم والدم وله مستقبل مرموق وفرح الحاج عبدالصمد كثيرا وابلغه بأنها عرضه وشرفه ولن تكون لغيره ان شاء الله وقال له الدكتور سعيد انه سيحضر مع والده اليوم التالي لإتمام الخطبة والزواج و انتهت المكالمة والاب في حالة رضاء وراحه و على الفور قام الحاج عبدالصمد بابلاغ ولديه حسين ومحمود برغبة الدكتور سعيد فى الزواج من شقيقتهم سميرة ورحب الجميع بهذا الخر فهم يعلمون جيدا تعلق شقيقتهم بالدكتور سعيد منذ ان كانوا أطفالا.

بينما كانت سميرة تقوم بغسل الأوانى بعد الأفطار والأستعداد لتجهيز الغداء قامت امها بالحديث معها عن سعيد واذا كانت ما زالت تحبة مثلما كانت فى الطفوله كان الخجل والحياء عنوان ملامحها والمتحدث الرسمي بلسان حالها امام عبارات والدتها وقالت لها انها مجرد ذكريات ويبدو ان سعيد قد ارتبط بفتاه من المدينة فقد تخرج من الكلية وترك البلد وكل ما فيها وفهمت والدتها ان هناك رغبات دفينة ومشاعر تحت رماد الغربه لا تريد ان تظهر للعلن ولم تأتى الرياح لتكشف ما أسفلها فقالت لها يا فتاتي الزواج والرزق اقدار من الرحمن مهما حاول الأنسان البحث عنهما سيطرقان بابه حتما ولن تأخذى الأ نصيبك وما كتبه الله لك وانهت معها الحوار واكملوا اعمالهم المنزليه فقد أقترب موعد حضور والدها واشقائها

وعقب انتهاء يوم العمل الشاق الممزوج بالسعاده للآتصال الهاتفي توجه والدها واشقائها الى البيت وصادفتهم سميرة عند مدخل باب المنزل ونظروا اليها ونظرت اليهم نظرة وجدتها غريبة نوعا شاهدت فيها رضاء وارتياح واحاديث كثيرة وابتسمت لهم وقالت لهم خير اري في اعينكم كلام وكلام.

قال لها الحاج عبدالصمد والله كبرتي يا سميرة وهنفرح بيكي قريب وضحك اشقائها وهنا الذكاء الأنثوي والفطري بدأ يكشف غموض الصورة أمام اعينها لهذة الحورات والكلمات المحبوسة فى صدر أبيها وهرولت باتجاه غرفتها مع طأطأة رأس العذراء الممزوجة بالحياء والدلال.

ونقل الخبر الحاج عبدالصمد الى زوجتة وكانت متهلله ومستبشرة خيراً واول كلمة وردت على لسانها سبحان الله وفى نفسها تقول ما هذة المصادفة الغريبة حلم يراود فتاتها الوحيده فى ليله ويكون محور حديث وفى نفس اليوم هذا الخبر الرائع ، فالدكتور سعيد منذ ان ترك القرية منذ خمس سنوات لم تجد له مثيلا

بين اقرانه ليكون زوجاً لابنتها الوحيدة وكان قبل سفرة حريصا على القرب منها والتودد لها بقول مرات عمي دي بمليون راجل وكانت تضحك معه كثيرا وعلى الفور ذهبت الأم لسميرة التى كانت تستمع من خلف الباب لصوت ابيها وامها وعندما فتحت الباب شاهدت سميرة كالمتعاطى لحقنة مخدر أفقدتة الشعور بما حوله وذلك من شدة الإنتشاء والسعادة التى كانت تتمناها وقالت لها الخبر وهي فى عالم أخر فها هى أخيرا ستتزوج من دكتور فى العلم وأبن عم شقيق وحبيب رغم ظروف الريف التى تكون دوماً حاجزا وسدا منيعا عند التعبير عن المشاعر لكن يبقي من بعض التصرفات ما يرسخ فى صميم الوجدان رغم اختلاف الثقافات.

ولم تنم سميرة ليلتها فقد أصبحت الأن امام عريس أصبح فارسها الوحيد فى الحياة فهو من كانت تذهب برفقته فى المرحلة الابتدائية حيث كان يكبرها بسنوات وهو من كان يحمل حقيبتها احيانا وهو من كان يتشاجر مع الصبيان عندما يزعجونها وها هو اليوم سيكون بطلها وملهمها فى الحياة وفى ليلتها السابقه شريكها فى حلم جميل واليوم تتحقق كل الأماني بطلب الزواج منها .

ومع اذان الفجر فى مسجد القرية كانت سميرة تقوم بذات الطقوس اليومية فى تجهيز الفطار ولكن بمشاعر مختلفة فقد اصبحت ضيفة وقريبا ستغادر متزلها الى القاهرة عاصمة الملهمين وحلم الضائعين الحائرين وبينما هى تقوم بطقوسها قال لها ابوها ربنا يسعدك يا بنتي كنت ارفض الكثير من الشباب من اجل ابن عمك وها حلمي يتحقق ان شاء الله سيحضرون اليوم جهزوا لهم الطعام وسأحضر لكم كل ما تطلبونه من السوق ولن اذهب اليوم الى الزرع.

مر اليوم بسرعة البرق ووصلت سيارة امام باب المنزل فيها الدكتور سعيد ووالده ووالدتة واخوته واستقبلهم الجميع بالترحيب والاحضان والقبلات فما اجمل اجتماع الأشقاء بعد غياب وما أجمل لم

الشمل بعد البعد والجفاء فقد كانت زيارات مصطفي شقيق عبدالصمد للقرية فى المناسبات فقط ،اما سميرة التى لم تبقي سوي ثواني برفقة عمها وابناء عمها وبخجل الانثي هرولت مسرعة لكن تلك الثواني كانت سنوات من الخيال فقد احتضنت بخيالها الدكتور سعيد حضن تكاد الأضلاع من بينها تتدفق الانهار وتنفجر براكين الشوق والاحتواء وكانت نظرته لها لا تختلف عنها فها هو اليوم سيكون على موعد مع السعادة مع فتاة كانت يوما عشقه منذ الطفوله رغم انه لم يصرح لها بما يخالجة ويخالج مشاعرة.

بعد الطعام والشاى جلس الحاج مصطفي والحاج عبدالصمد والدكتور سعيد فى المندرة وتم تحديد الزواج وقراءة الفاتحة والاتفاق على المهر والشبكة فى يوم الخميس من الاسبوع المقبل على ان يعودوا يوم الاربعاء قبل الفرح بيوم ليتم تجهيز الامور التى تحتاجها الاعراس.

وحضرت سميرة بعد قراءة الفاتحة بناء على طلب والدها وسلمت على عريسها وبارك لهما الجميع وابلغوها بأن تجهز نفسها فهي فى الاسبوع القادم ستكون فى بيتها مع عريسها وانصرفت بخجل القرويات الى غرفتها واحتضنتها زوجة عمها وامها وباركا لها.

طيلة الاسبوع كان المنزل فى حالة تأهب واستعداد وخبيز وتوجيه الدعوه لأهالى القرية وفى يوم الاربعاء حضر العريس من القاهرة برفقة اهله وتم عقد القرآن فى مسجد القرية وفي اليوم التالي كان المهرجان الكبير وحفل الزفاف الذي تحلم به اى فتاه بحضور الأهل والاقارب وكانت السعادة والراحة عنوان المكان واستقرت وسكنت فى عيون الحضور وانطلق صوت القارئ بآيات الرحمن ليعلن اتمام مشاعر حفل الزفاف وبداية ميلاد سميرة وسعيد فى قفص الزوجية الذهبي السعيد وتحققت رغبات كانت مكبوتة طال عليها الزمان